العلوم

البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين
خريج جامعة برمنجهام

سبقت لنا كلمة بهذا العنوان فى الرسالة . وفيها أشرنا إلى أن أفراداً من أساطين رجال العلم الحديث جمعوا من اختباراتهم وتجاربهم باستخدام الوسطاء أدلة جديرة فى اعتبارهم باسم العلم تبرر القول بيان العالم الروحى جزء من النظام الكونى ، وأن الاتصال به فى حيز الممكنات .

ونود بعد ذلك أن نورد طرفا من تلك الاختبارات والتجارب ، ونزنها بالميزان العلمى ، لنرى مبلغ صلاحيتها كدعامة لهذا الزعم الخطير ، الذى إذا صح فان كل كشف علمى سابق يعتبر بجانبه من محاقر الامور . لم لا ؟ والعلم لم يمهد لنا إلى اليوم غير سبيل المادة ؛ والمادة لا تمسك فى محيطها الا قليلا ؛ ونرتحل عنها وشيكا . أما عن الخلود بعد الممات فلم نسمع من العلم الحديث كلمة ؛ اللهم الا كلمة انكار من بعض الذين ينتسبون اليه .

نعم ، نسمع انكاراً صريحا من بعض رجال العلم ؛ وافتراض وجود الارواح غير المنظورة أبغض شىء الى رجل العلم الحديث وليس هذا بغريب ، فالبرق الذى اعتبره الاقدمون لمع سيوف الآلهة فى السماء قد ثبت اليوم أنه شرر كهربائى . والرعد الذى حسبوه زمجرة غضب الآلهة ليس سوى فرقعة ذلك الشرر . وقوس قزح الذى ظنوه سلما تمده الآلهة ليهبط على درجه رسولهم ليس سوى طيف ضوئى ناتج من تحلل أشعة الشمس بانعكاسها وانكسارها فى قطرات ماء المطر . والمرض الذى توهموه فعل أرواح شريرة وطاردوها عبثا بالتمائم والتعاويذ ليس سوى فعل ذر دقيق يرى بالمجهر ويعالج علاجا صحيحاً بالمحقن . لاحد لما كان ينسبه الاقدمون الى الارواح . ولا شك أن تاريخ العلم الحديث يكاد يكون سلسلة حرب مع الارواح ؛ فهو يجليها كل يوم عن مركز فى العالم المادى ، ويقيم على أعقابها نظما وقوانين يتسع بعضها بعضا ولا أثر فيها لروح ما .

لابدع إذن أن نرى رجل العلم يرفض الاستماع لكل زعم بوجود أرواح للموتى مهما كان مصدره . ويعتبر ذلك رجوع القهقرى ، وعوداً الى عهد الخرافات البغيض ، واستسلاماً لحب البقاء ، وطمعا فى لقيا الاعزاء ، وذعراً من الفناء . ولا بدع أن نراه يعتبر تعليل الظواهر بالارواح عجزاً عن التعليل ؛ ويفضل عليه أن تبقى الظواهر بلا تعليل .

هذا الموقف السلبى تراه كثرة المفكرين هو الجدير بالروح العلمية الصحيحة ، التى لا تعرف الآمال ولا المخاوف . ولكن بعض المفكرين يرونه تطرفا وتعنتا . لأن الروح العلمية التى لا تعرف الآمال والمخاوف ، لا تعرف أيضا البغض والحب . يجب أن نستمع لكل رأى مهما كان بغيضا . وأن لا نرفض الاشتراك فى تجارب تجرى على النمط العلمى مهما بدا موضوعها سخيفا والامل فى جدواها ضعيفا . اذا لم نفعل ذلك فنحن كالذين رفضوا النظر فى تلسكوب غاليليو .

« سر الفر جوزيف لدج » أستاذ انجليزى فى علم الطبيعة ، وشخصية علمية عالمية فذة . نيف اليوم على الثمانين من عمره ولا يزال نشيطا عاكفا على البحث العلمى فى معامله . كان أستاذا بجامعة ليفربول ، ثم قضى حقبة طويلة مديراً لجامعة برمنجهام . وكان رئيسا للمجمع العلمى البريطانى ، ولجمعة تجن ، ولجمعية الطبيعة . ولجمعية الراديو . ولديه من ألقاب الشرف العلمية الشىء الكثير . وله فضل معروف فى تحقيق التخاطب اللاسلكى ويعتبر دائما حجة فى كل ماله علاقة بالأثير

لم تقتصر جهود هذا العالم الكبير على الطبيعة ، بل امتدت الى مافوق الطبيعة . والذى دفعه الى هذه المخاطرة العلمية أمران : أحدهما بحوثه فى الأثير ، التى أوصلته الى أن الأثير هو الحقيقة الأساسية فى العالم المادى ، وانه الوسط الشامل ، وان منه تصاغ

المادة نفسها . ثم نظر فرأى الأثير الجزء الأهم فى كياننا الجثمانى نفسه . أليس الجسم البشرى ككل جسم مادى يتألف من كهارب دقيقة بينها فراغ شاسع بالنسبة لحجومها المتناهية فى الصغر ؟ أليس الجزء الأكبر من الجسم البشرى فراغا يملؤه الأثير ؟ هذا الأثير إذن هو الثوب الحقيقى لعنصر الحياة الذى يميزنا من الجماد والذى نسميه الروح . أما الذرات المادية فهى بمجرد آلة تمكننا من العيش برهة فى عالم المادة . ان الدقائق المادية نفسها لا تتلامس قط بل يوجد بينها دائما فراغ يملؤه الأثير . فنحن إذن لا نمس شيئا إلا عن طريق الأثير . ولا نسمع شيئا إلا بتوسط الأثير . ولا نرى شيئا إلا باستخدام الأثير . والتفكير وكل الظواهر العقلية والنفسية لا شأن لها البتة بالذرات المادية . بل تنشأ أولا فى الأثير المتخلل لأجسامنا . وهذا الأثير بكيفية مجهولة يحرك ذرات المادة التى تتألف منها أعضاؤنا الظاهرة . فننسب نحن كل شىء لذرات المادة وننسى الأثير الرابط لها والضابط لكل ما تأتيه من حركات .

هل يتحتم إذن ان يكون موت الفرد زوال كل أثر لذاتيته من الوجود ؟ إذا كانت الحياة من خواص الأثير الجثمانى فهناك كل أمل فى بقائها بعد الممات . إذ قد علمتنا دروس الطبيعة أن الظواهر الأثيرية تبقى ما بقى الدهر ، ولا تتشتت أيدى سبا ، شأن ذرات الجسم المادى . الموت إذن هو طرح ذرات المادة والعيش بعد ذلك فى ثوب الأثير الجثمانى ، وفى عالم أثيرى لا يحجبه عن حواسنا الحاضرة الاعجز تلك الحواس وقصورها . لقد كشف العلم عن ظواهر أثيرية لم تكن من قبل محسوسة ، مثل الأشعة الخارجة عن حدود الطيف المنظور ، فلم نستنكر أن يكشف العلم عن حياة فى الأثير ؟

هذا ما يقوله (لدج) . وظاهر أنه رأى فلسفى أكثر منه عملى . وإذا كانت هذه هى كل حجته فقد أتى بغير جديد . إذ النقاش الفلسفى فى المادة والروح والفناء والخلود فاضت به الكتب وكاد يصبح مفروغا منه . لذا لا نرى التبسط فى حجته هذه رغم ما تستحقه من تقدير . وننتقل الى اتصاله الفعلى بتلك الكائنات الأثيرية وكيف أمكن أن يكون .

وضع « لدج » كتابا أسماه « كيف ثبت لى خلود النفس البشرية » مهد له بما يأتى :—

« القول بخلود النفس البشرية بعد الممات ، وبأن الموت طرح للجسد المادى ليس غير ، هو قول قديم ، وجد منذ وجد البشر . أما الحجج التى تؤيد هذا القول فبعضها دينى قائم على التسليم بوجود خالق رحيم عاقل ، وبعضها حيوانى يرجع الى نفور النفس الغريزى من فكرة الانعدام ، والقول بأن الغرائز البشرية تنم حتما عن حقائق واقعة . انى فى هذا الكتاب لا أعتمد على أحد هذين النوعين من الحجج ، وإن كنت أحترمهما وأقدرهما قدرهما . بل لست أنوى أن احاج أو أجادل ، فنظريتى قائمة على أساس من الاختبار الفعلى ، وعلى قبول طائفة من ظواهر يمكن لكل إنسان أن يشاهدها بنفسه اذا تجشم عناء التجريب . إنى أعرف خطورة كلمة « حقيقية » من الوجهة العلمية ، ومع ذلك أقول دون أدنى تردد أن بقاء ذاتية الفرد بعد موته هو عندى حقيقة قام عليها الدليل الحسى . لقد وصلت الى هذا اليقين بدراسة خصائص نفسية غامضة لم يلتفت اليها العلم حتى الآن ، ولا يرتاح لها فيما أظن رجال الدين . لذا أرى لزاما على أن أذيع من آن لآن ما يبرر مثابرتى على هذه البحوث ويعبر عن اقتناعى التام بصحة ما وصلت اليه .

« ولا حاجة بى الى القول بأن كلمة (خلود) الواردة فى العنوان لا يقصد بها الخلود أبد الآبدين فهذا ما لا علم لى به . كل ما أطمع فى تقريره هو بقاء ذاتية الفرد بعد الموت . الموت هو الحادث الذى نرى عنده انقطاع حبل الحياة فاذا كنا نعيش بعد هذا الحادث القاصم فبعيد أن نلتقى بعده بحادث أشد منه وأعظم خطرا . لست أعرف ما يكون من شأننا فى المستقبل القاصى ، وكل ما استدللت عليه هو بقاء ذاتيـــة الفرد منا بعد مغادرة هذا الجسد المادى . والمستقبل البعيد خليق بأن لا يشغل بالنا الآن . وحسبنا العلم بأن هذه الحياة الأرضية ليست كل نصيبنا من الوجود كأفراد ، واننا إذا استخدمناها كما ينبغى فهى المرحلة الأولى من عيش طويل كله فرص للخدمة التى تتفق مع طبيعتنا الحقيقية وفيها سعادتنا الصحيحة » .

هذا ما كتبه « لدج » تمهيدا للكتاب . وسنتناول ما تضمنه الكتاب من تجارب ومشاهدات فى كلمة أخرى ان شاء الله ؟

عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام